سلسلة حكايات قرآنية (٧)

أصحاب الفيل

إعداد

منصور علي عرابي

obeikandl.com

obeikandl.com

الكعبةُ المشرَّفةُ هي قِبلةُ المسلمينَ، أمرَ اللهُ نبيَّهُ إبراهيمَ ببنائِهَا، وبدعوة النَّاسِ إلى حجِّها، فجاؤُوا إليها من مشارقِ الأرضِ ومغارِبهَا، إحياءً لشعائرِ اللهِ، ورَغبةً في مرضاتِهِ.

وهذه الكعبةُ لها عِندَ اللهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ مكانةٌ كبيرةٌ، ومنزلةٌ عظيمةٌ، ولذلكَ فقَدْ حماهَا اللهُ وحفظَهَا من الشَّرِّ والسوءِ، وأَهلكَ مَن أَرادَ هدمَهَا، وجعلَهُ عِبرةً لمن يعتبرُ، وعِظةً لمَنْ يَتَّعِظُ.

وفي قصَّةِ هلاكِ أَصحابِ الفيلِ تتبيَّن لنَا قُدرةُ اللهِ العظيمةُ، وجنُودهُ العَجيبةُ، وقَدْ صدقَ اللهُ تعالَى حينَ قالَ:

﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ [المدثر:٣١].

فهيَّا معًا نتعرَّفْ على قصةِ أَصحابِ الفيلِ، وكيفَ سوَّلَتْ لأَبْرَهَةَ الأَشرمِ نفسُهُ أَنْ يَهدِمَ الكعبةَ، وماذَا كانَ مَصيرُه وعَاقبَتُهُ، وقُدرةِ اللهِ العلِيِّ القَديرِ في حمايةِ بيتِهِ الكريمِ وكعبتِهِ المعظَّمةِ.

اضطهَادُ اليهودِ للنَّصارَى

قَبلَ ظهُورِ الإسلامِ كانَ الصراعُ قَائمًا بينَ مَنْ يَعتنقُ اليهُوديَّةَ ومَن يَعتنقُ المسيحيَّةَ، وكانَ في اليمنِ مَلكٌ يَهوديٌّ اسمهُ: «ذو نُواسٍ»، وكانَ جبَّارًا، يكرَهُ المسيحيَّةَ، ويُحاولُ أَن يُجبرَ النَّاسَ على الدخولِ في اليهوديَّةِ، فعذَّبَ أهلَ نَجرانَ المسيحيينَ، وقتلَ منهم عِشرينَ ألفًا، حيثُ كانَ يُلقي بهم في الأُخدودِ المُشتعلةِ بالنيرانِ.

وكانَ من بينِ هؤلاءِ النَّصارَى رَجلٌ اسمهُ: «دَوس ذو ثُعلبانَ»، استطاعَ أن ينجُوَ من الموتِ، وفرَّ هاربًا إلى بلاد الشَّام، فاستغاثَ بقيصرَ مَلكِ الرُّومِ، وأَخبَرَهُ بما فعلَهُ «ذُو نُواس» بأهلِ نَجرانَ المسيحيينَ، ففكَّرَ قيصرُ كيف يُنقذُ هَؤلاء النَّصارى وينتقِمُ من «ذي نواسٍ» وأَعوانِهِ، ولكنَّه وجدَ أنَّ المسافةَ بين الشَّامِ واليمنِ كَبيرةٌ جدًا، ففكَّرَ فِيمَنْ هُم أَقربُ لليمنِ من النَّصارى، فوجدَ أنَّ الحبشَةَ أَقربُ لليمنِ، وهُم نَصارى موالِينَ لقيصرَ، فكتبَ قيصرُ إلى النَّجَاشِيِّ مَلِكِ الحَبشةِ أَنْ يُرسِلَ مِن عندِه جَيشًا عَن طَريقِ

البحرِ إلى اليمنِ للقضاءِ على «ذي نواس» وأَعوانِه، وإنقَاذِ النَّصارى من أهلِ اليمنِ، فوجدَهَا النَّجاشيُّ فُرصةً لاتِّساع مُلكِهِ، وإظهَارِ الولاء لقيصَرَ لنيلِ رضاه، فجمعَ وزراءَهُ واستشارَهُمْ في الأمرِ، واستقرَّ رأيُهم على إرسال أميرينِ إلى اليمنِ بجيشٍ كبيرٍ يضمُّ الجنودَ والخيولَ والفيَلَةَ العظيمةَ والجِمَالَ وغيرَ ذلكَ، ووقعَ الاختيارُ على قَائدَيْنِ شَديدينِ هُما: «أَرياطُ وأَبرهةُ بنُ الصبّاحِ»، فسارَ الأميرانِ بجيشٍ كَثيفٍ، وعبرُوا البحرَ، واستولَوا على اليمنِ بعدمَا هزموهُمْ هزيمةً مُنكَرةً، وهلك الملكُ الظَّالمُ «ذو نواس» غَريقًا في البحرِ، واستقلَّ الحبشةُ بملكِ اليمنِ.

أبرهةُ مَلكُ اليمنِ

بعدَ أن استقرَّتْ أمورُ الحبشةِ في اليمنِ اختلفَ الأميرانِ «أَرياطُ وأَبرهةُ»، فأرادَ كلُّ واحد منهمَا أن يستقلَّ بالملكِ وحدَهُ، وانحازَ إلى أَرياطَ فريقٌ من الجيشِ، بينمَا انحازَ الباقي إلى أَبرهةَ، وكادَتْ أن تقومَ حربٌ شديدةٌ بينَ

الجيشَيْنِ، إلّا أنَّ أَبرهةَ قالَ لأَرياطَ: إنَّهُ لا حَاجةَ بِنَا إلى إهلاكِ الجيشِ بيننَا، ولكن ابرُزْ إِليَّ وأبرزُ إليكَ، فأيُّنَا قتلَ الآخرَ استقلَّ بالملكِ بعدَهُ.

فوافقَ أَرياطُ على ذلكَ، فتبارَزَا، وخلْفَ كلِّ واحدٍ منهمَا غُلامُهُ، فهجمَ أرياطُ على أبرهةَ فضربَهُ بالسيفِ فشرمَ أَنفَهُ وشقَّ وجهَهُ، فلمَّا رأى غُلامُ أبرهةَ ذلكَ هجمَ على أَرياطَ فقتلَهُ، وحملَ النَّاسُ أبرهةَ جَريحًا، فداوَى وجهَهُ فشُفِيَ، إلَّا أَنَّ أثرَ الضربةِ ظلَّ في وجهِهِ، لذلكَ سمَّاهُ الناسُ «أبرهةَ الأشرم»، وبعدَما شفي استقلَّ وحدَهُ بمُلكِ اليمنِ، وصَارَ حَاكمَهَا الأوحدَ.

ووصلَتْ أخبارُ أبرهةَ إلى ملكِ الحَبشةِ، وأَنَّهُ قتلَ زميلَهُ الأميرَ أرياطَ واستقلَّ بحكم اليَمنِ، فكتبَ النجاشيُّ إليهِ رسالةً شَديدةَ اللهجةِ، يلومُهُ على ما كانَ منهُ، ويتوعَّدهُ، فلمَّا وصلَتِ الرسالةُ إلى أَبرهةَ خافَ على نفسِهِ، فأَرسلَ إلى النَّجاشيِّ هَدايا عَظيمةً وتُحفًا كثيرةً، فرضيَ عنهُ، وأَقرَّهُ على مُلكِ اليمنِ.

القُلَّيْسُ كَعبةُ أبرهةَ

بعدَ مُرورِ عدَّةِ شُهورٍ على مُلكِ أَبرهةَ باليمنِ جَاءَتْ أيامُ الحجِّ، فلاحظَ أَبرهةُ أنَّ أهلَ اليمنِ يتجهَّزونَ للخروجِ، فسألَ أبرهةُ: أينَ يذهبُ النَّاسُ؟ فقِيلَ لهُ: يحجُّونَ إلى بيتِ اللهِ الحرامِ بمكَّةَ المكرَّمةِ. فقالَ: ومَا بناءُ هَذا البيتِ؟ فقالُوا: مِن الحجارَةِ. فقالَ: والمسيحِ لأبْنِيَنَّ لكم خَيرًا منهُ، ولْيأتِ إليهِ النَّاسُ كمَا يَأتونَ بيتَ العربِ.

ثمَّ جمعَ أبرهةُ المهرةَ من الصنَّاعِ، وعَددًا كَبيرًا من العمَّالِ، وأمَرهم بالبناءِ، فبنَوْا له كنيسةً هائلةً بصنعاءَ، رفيعةَ البناءِ، مزخرفةَ الأَرجاءِ، فلمَّا رآها أهلُ اليمن من العربِ سمَّوْهَا «القُلَّيْسَ» لارتفاعِهَا الشَّديدِ، فقَدْ كانَ الناظرُ إليهَا تكادُ قَلَنْسُوَتُه تسقطُ عن رأسِهِ.

وبعدَ أَنْ تمَّ البناءُ بدَأَ أبرهةُ يَدعو النَّاسَ إلى حجِّ البيتِ الذي بناهُ، ويرغِّبُهُمْ في ذلكَ، ويُجبرُ أهلَ اليمنِ على الحجِّ إليهِ والتَّنسُّكِ فيه، ويتوعَّدُ مَن يَخرجُ إلى الكعبةِ بِالعذابِ

والهلاكِ، ولكنَّهُ رغمَ ذلكَ وجدَ كَثيرًا من النَّاسِ يفرُّونَ من اليمنِ لحجِّ بيتِ الله الحَرامِ، ولا يأتِي إلى القُلَّيْسِ إلا القليلُ من المقهورينَ على ذلكَ.

وذاتَ ليلةٍ.. تسلَّلَ فتيةٌ مِن قُريشٍ إلى القُلَّيْسِ، ودخلُوهَا خُفيةً، فأشعلُوا فيهَا نَارًا، وكانَ الهواءُ شديدًا في هذا اليومِ، فاحترقَتْ وسقطَتْ، فلمَّا علمَ أَبرهةُ في الصَّباحِ بِمَا حدثَ قالَ: مَن صنعَ هذا؟ فقيلَ لهُ: صنعهُ رجالٌ من أهلِ هَذا البيتِ الذي يحجُّه العربُ. فغضبَ غَضبًا شَديدًا، وحلفَ ليسيرنَّ حتَّى يهدمَ الكعبةَ حَجرًا حَجرًا، وكتبَ رسالةً إلى النَّجاشيِّ يُخبرُهُ بذلكَ، ويطلبُ منه أن يبعثَ إليهِ بفيلِهِ.

وكانَ عندَهُ فيلٌ ضَخم يُسميهِ «محمُودًا»، لَمْ يُر مثلُه في الأرضِ قوةً وشراسةً، فبعثَ النَّجاشِيُّ بالفيلِ إلى أَبرهةَ، فأمرَ أبرهةُ الأحباشَ أن يتجهَّزوا لغزوِ مكَّةَ وهدمِ الكعبةِ، فتجهزَ جيشٌ كبيرٌ، بلغَ ستينَ ألفَ جُندي غيرَ الجمالِ والخيولِ والفِيَلةِ.

❊ ❊ ❊

الطَّريقُ إلى مكَّةَ

لمَّا علمَ أهلُ اليمنِ ومَن حولَهُمْ من العربِ بما يريدُهُ أبرهةُ الأَشرمُ رأَوْا أنَّ حربَهُ حقٌّ عليهِم، فقامَ رجلٌ من أشرافِ اليمنِ اسمُه «ذُو نَفر»، وجَمعَ قومَهُ وغيرَهُمْ مِن سائِرِ العربِ، ودعاهُمْ إلى حربِ أَبرهةَ وجهادِهِ عَن بيتِ الله تعالَى، فأجابَهُ خلقٌ كثيرٌ من العربِ، فخرجُوا لملاقاةِ جيشِ أَبرهةَ، واعترضُوه في الطريقِ، ودارَتْ بين الفريقينِ حَربٌ شَديدةٌ، ولكنَّ قُوَّةَ جيشِ أَبرهةَ كانَتْ تفُوقُ قوَّةَ العربِ بكثيرٍ، فانهزمَ العربُ، وأُسِرَ ذو نفر.

وفي الطَّريقِ مرَّ أبرهةُ على قبيلةٍ عربيةٍ هي «بنو خَثعم»، فتصدَّتْ لهُ بقيادةِ زعيمِها نُفيلِ بنِ حبيبٍ الخثعميِّ، فوقعَ بينهمَا قتالٌ، فانتصرَ أبرهةُ وأُسرَ نُفيلٌ، فلمَّا همَّ أبرهةُ بقتلهِ قالَ له نُفيلٌ: أيُّها الملكُ لا تَقتلنِي فإنِّي دليلُكَ بأرضِ العربِ. فترَكَهُ يسيرُ معهُ إلى مكَّةَ.

وسارَ الجيشُ حتَّى وصلَ إلى «المُغَمَّس»، وهو مكانٌ قريبٌ من مكَّةَ، تَرعى فيه إبلُ العربِ ومَاشيتُهُمْ، فأخذَها

أبرهةُ، وفيهَا مئتَا بعيرٍ لعبدِ المطَّلبِ بنِ هَاشمٍ، وهو يومئذٍ كبيرُ قُريشٍ وسيِّدُهُمْ، فلمَّا علمت قُريشٌ ومَن حولَهَا من القبائلِ بِقدوم أَبرهةَ وجيشِهِ أَرادوا أن يَخرجوا لقتالِهِ وحربِهِ، فاجتمَعَتْ قُريشٌ وكنانةُ وهُذيلٌ على ذلكَ، ثُمَّ عَرفُوا أَنَّهُ لا طاقةَ لهُمْ بحربِهِ، بينمَا بعثَ أَبرهةُ إليهِمْ رَجلًا من العربِ، وهو حُناطة الحِمْيَريّ، وقالَ لهُ: اذهَبْ إلى مكَّةَ، وسَلْ عن سيِّد أهلِ البلدِ وشريفِهِمْ، ثُمَّ قُلْ له: إنَّ الملكَ يقولُ: إنِّي لَمْ آتِ لحربِكُمْ، إنَّما جئتُ لهدمِ هذا البيتِ، فإنْ لَمْ تَعرِضُوا دونَه بحربٍ فلا حَاجةَ لي بدمائِكُمْ، فإنْ هُو لَمْ يُرد حَربِي فائتِني بهِ.

للبيتِ ربٌّ يَحْميهِ

ذهبَ حُناطةُ إلى مكَّةَ، وسألَ عن سيِّد قُريشٍ وكبيرِهَا، فقيلَ لهُ: هو عَبدُ المطَّلبِ بنُ هَاشمٍ. فذهبَ إليه وأَخبَرَه بما قالهُ أبرهةُ، فقالَ له عبدُ المطَّلبِ: واللهِ مَا نريدُ حربَهُ، وما لنَا بذلكَ من طاقةٍ، هذا بيتُ اللهِ، وبيتُ خليلِهِ إبراهيمَ ﷺ، فإنْ يمنعْهُ فهو بيتهُ وحَرَمُهُ، وإن يخلِّ بينَهُ وبينَهُ فوالله

مَا عندَنَا دَفعٌ عنهُ. فقالَ حُناطةُ: إذًا فانطلقْ معِي إليهِ، فإنَّهُ قَدْ أَمرني أن آتِيَهِ بِكَ.

فذهبَ معهُ عَبْدُ المُطَّلِبِ ومعهُ بعضُ أولادِه، فلمَّا دخلَ علَى أَبرهةَ أَجلَّه وأَكرمَه، وجلسَ على بِساطِهِ وأَجلسَه إلى جَنبِهِ، ثُمَّ قالَ لتَرْجُمانِه: قُلْ له: مَا حَاجَتُكَ؟ فسألَهُ الترجمانُ، فقالَ عَبْدُ المُطَّلِبِ: حَاجتي أن يردَّ عليَّ الملكُ مَئتي بَعيرٍ أَصابَهَا لِي. فلمَّا قالَ لَهُ ذلك قالَ أَبرهةُ لترجمانهِ: قُلْ لهُ: قد كنتَ أَعجبتنِي حينَ رأيتُك، ثُمَّ قَدْ زهدتُ فيكَ حينَ كلمتنِي في مئتَي بَعيرٍ أصبتُهَا لكَ، وتترُكُ بيتًا هو دينُكَ ودينُ آبائِكَ جئتُ لهدمِهِ لا تكلمُنِي فيهِ؟! فقالَ عَبْدُ المُطَّلِبِ: أنا ربُّ الإبل وصَاحِبُهَا، وإنَّ للبيتِ ربًّا يَحميهِ ويمنَعُهُ. فقالَ أَبرهةُ: مَا كانَ ليمتنعَ منِّي. فقالَ عَبْدُ المُطَّلِبِ: أنت وذاكَ.

ثُمَّ عَرضَ عَبْدُ المُطَّلِبِ علَى أَبرهةَ أَنْ يجمعَ لهُ أموالَ تِهامةَ فيأخذَهَا ويَرجِعَ عَن هَدم البيتِ، ولكنَّ أَبرهةَ رفضَ، وأَصرَّ على هَدمِ البيتِ الحرامِ، وردَّ عَلى عَبْدِ المُطَّلِبِ إِبِلَهُ، فجعلهَا عَبْدُ المُطَّلِب هَديًا للبيتِ الحرامِ، وبثَّها في الحرمِ،

ثُمَّ انصرفَ إلى قُريشٍ فأخبَرهُمْ بالأمرِ، وأمَرَهُم بالخروجِ مِن مكَّةَ إلى شَعفِ الجبالِ والشِّعابِ خَوفًا عليهِمْ مِن جيشِ أَبرهةَ، فخرجَ أهلُ مكَّةَ بأولادِهمْ وأموالِهِمْ، فتحرَّزُوا في الجبالِ، بينمَا أمسكَ عَبْدُ المُطَّلِبِ بحَلْقةِ بابِ الكعبةِ ومعهُ نَفرٌ من قُريشٍ، وراحُوا يدعونَ اللهَ تعالَى ويستنصرُونَهُ عَلى أَبرهةَ وجُندِهِ، فقالَ عَبْدُ المُطَّلِبِ:

لاهُــمَّ إنَّ المــرءَ يمــ ـنعُ رَحلَهُ فامنعْ رِحَالَك
لا يَغلــبن صَــليبُهم ومِحالُهُمْ عَـدْوًا محالَـك
انــصُر علــى آلِ الـصَّليـ ـبِ وعابديـهِ اليـومَ آلَكَ
إنْ كُنــتَ تــاركَهم وكعْـ ـبَتَنَا فـأمرٌ مَـا بَـدَا لـك

ثُمَّ انطلقَ عَبْدُ المُطَّلِبِ ومَن معهُ إلى مكانٍ عالٍ قَريبٍ من مكَّةَ ينظُرُ ما يفعلُهُ أَبرهةُ، ورفعَ يديهِ إلى السَّماءِ يدعُو على الحبشةِ بقوله:

يَا ربُّ لا أَرجُو لهُـمْ سِـواكا يَـا رَبُّ فـامنعْ منهُمُ حِمَاكـا
اِمـنعهُمُ أَنْ يُخْرِبــوا قُراكَــا إنَّ عَـدُوَّ البيـتِ مـن عَادَاكـا

وباتتْ قُريشٌ وأهلُ حَرمِ اللهِ بِالجبالِ والشِّعابِ ينتظرونَ مَا يحدثُ في الصَّباحِ.

التَّوجُّه إلى الكعبةِ

لَمَّا أَصْبَحَ أبرهةُ تَهَيَّأَ لدخولِ مكَّةَ، وهيَّأَ فِيلَه، وعَبَّأَ جيشَهُ، وتوجَّهوا إلى الكعبة لِيهدِمُوهَا، وكانَ الفيلُ في مُقدِّمةِ الجيشِ، فلمَّا وجَّهوه نحوَ الكعبةِ أَقبلَ نُفيلُ بنُ حَبيبٍ، وسارَ بجانبِ الفيلِ، وهَمسَ في أُذنِه قائلًا: يَا محمودُ، أنتَ بحرمِ اللهِ، ثُمَّ تركَ الجيشَ وأسرعَ نحوَ الجبلِ، فصعِدَهُ ليَرى مَا يَحْدُثُ، فبَرَكَ الفِيلُ مكانَهُ، ورَفَضَ أنْ ينهضَ أو يتحرَّك نحو الكعبةِ خَطوةً واحدةً.

فحاولَ الجنودُ مع الفيلِ كَي يقفَ ولكنَّهُ رفضَ، فضرَبُوه بالسياطِ ضَربًا شَديدًا فلَمْ يقفْ، وظلَّ باركًا في مكانِهِ، فَظنُّوا أنَّ بهِ شَيئًا يمنعُهُ من القيامِ والسيرِ، ولكنَّهم أَرادوا أَنْ يَعرفُوا ذلكَ، ففكَّرُوا أَنْ يُغيِّروا وجهتَهُ ليَرَوْا هَلْ سيظلُّ باركًا أَمْ سَيقُومُ ويسيرُ، فوجَّهوه جِهةَ اليمنِ، فقامَ الفيلُ كأَنْ لَمْ يكن بهِ شَيءٌ، وراحَ يُهرولُ في السَّيرِ، فأوقفُوهُ ثُمَّ وجَّهوهُ إلى الكعبةِ مرَّةً ثانيةً فبركَ، فضربُوه فلَمْ يَقفْ،

فوجَّهُوهُ جهةَ الشَّامِ فقامَ يُهرولُ، فمنعُوهُ من السيرِ إلى الشَّام ووجَّهُوهُ مَرَّةً ثالثةً إلى الكعبةِ فبركَ.. وكانَ في هَذا موعظةٌ كبيرةٌ وبليغةٌ لهُمْ، وتحذيرٌ من اللهِ، وبيانٌ بأنَّ مَا يُريدونَهُ أمرٌ عظيمٌ وشَديدٌ قَدْ يُعرِّضُهُمْ للهلاكِ والعذابِ.

ولكنْ رغمَ هذه الموعِظَةِ لَمْ يَعتبرْ أبرهةُ وجنودُهُ، وأَصرُّوا في عنادٍ وتكبُّرٍ على مُواصلةِ سَعيِهمُ الشريرِ، وتنفيذِ خُطَّتِهِمُ الشيطانيةِ، وظلُّوا يحاولُونَ مع الفيلِ وبَاقي الدوابِ من الصَّباحِ حتَّى غشيَهُمُ الليلُ، وأبرهةُ يُنادي فيهِمْ: لا بدَّ أَنْ يقومَ الفيلُ، ولا بدَّ أن تتَّجِهَ الدوابُّ والجنودُ إلى هَدمِ الكعبةِ، فلَنْ أعودَ مُنهزمًا، فقَدْ وعَدتنِي الآلهةُ بالنَّصرِ، وبشَّرتنِي الكهنةُ بالفوزِ، فسوفَ أَهدِمُ الكعبةَ سَواءٌ بالفيلِ أو بغيرِه.

جُندٌ من الطَّيرِ

وظلَّ جُنودُ أبرهةَ يُحاولُون مع الفيلِ، وقَدْ دبَّ الرعبُ والفزعُ في قلوبِهِمْ ممَّا يشاهدونَ، واستشعرُوا العذابَ في تلكَ الليلةِ، ولكنَّهم أَصرُّوا على العنادِ والكفرِ، فإذَا بهمْ يرَوْنَ

أسرابًا من الطيرِ الأبابيلِ قَدْ أظلَّتهم، ومعَ كلِّ طَائرٍ ثَلاثةُ أَحجارٍ يحملُها، حَجرٌ في منقارِه، وحجَرانِ في رجليهِ، وكلُّ حَجرٍ لا يزيدُ حجمُهُ عن الحِمّصِ، ولكنَّهَا كانَتْ حِجارةً قاتلةً، حِجارةً من نَارٍ، فلمَّا صفَّتِ الطيورُ على رُؤوسِهم، أَشفقُوا منهَا، وأصابَهمُ الرعبُ الشديدُ، وعلمُوا أنَّهم هالكونَ لا مَحالةَ، وعندئذٍ صَاحتِ الطيورُ، وألقَتْ ما في أَرجُلِهَا ومناقيرِهَا، فمَا من حجرٍ وقعَ على جنبِ رَجلٍ إلا خرجَ من الجنبِ الآخرِ، وإن وقع على رأسِهِ خَرجَ من دُبُرِهِ، ولا تُصيبُ شَيئًا إلا هَشَّمتهُ وحطَّمتهُ، فكانَ الحجرُ إذَا أصابَ الرَّجلَ منهُمْ سلخَ جلدَهُ عن عظمِهِ، وسقطَتْ أناملُهُ واحدةً تلوَ الأُخرى.

نجاةُ البيتِ

وبهذَا هلكَ مُعظمُ الجيشِ، وقُتِلُوا في أماكِنِهِمْ، وفرَّ الباقونَ يبتدرونَ الطريقَ الذي جَاؤوا منهُ، يسألونَ عن نُفيلِ ابنِ حَبيبٍ ليدلَّهم على الطريقِ، فقالَ نُفيلٌ:

أَيــنَ المفَــرُّ والإلَهُ الغالــبُ والأَشرمُ المغلوبُ ليسَ الغالبُ

فخرجُوا يتساقطونَ بكلِّ طَريقٍ، ويَهلِكونَ بكلِّ وادٍ، وقَدْ أُصيبَ أبرهةُ في جسدِهِ، وخرجُوا بهِ معهم تَسقطُ منه أُنملةٌ أُنملةٌ، كلَّما سقطَتْ أُنملةٌ أتبعتهَا مِدّةٌ ودمٌ وقيحٌ حتى قَدمُوا به صَنعاءَ وهو مِثلُ الفرخِ الصغيرِ ليسَ عليهِ غيرُ رأسِهِ، فانصدَعَ قلبُهُ فماتَ أبشعَ مِيتةٍ.

بينمَا عادَ أهلُ مكَّةَ إليهَا وقَدْ رأَوْا هذه الآيةَ العظيمةَ وقُدرةَ اللهِ العَجيبةَ في حِمايةِ حرمِهِ وبيتِهِ، فازدادَ البيتُ تَعظيمًا وتَشريفًا في قلوبِهِمْ، كمَا عظَّمَتِ العربُ قُريشًا، وقالوا: أهلُ الله تعالَى، قاتلَ عنهُمْ وكفاهُمْ مَؤُونةَ عَدوِّهم. ثُمَّ أرسلَ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ سَيلًا عَظيمًا، فاحتملَ جُثَثَ الحبشةِ فألقاهُمْ في البحرِ.

وقَدْ ذكَر اللهُ في كتابِه الكريمِ قِصَّةَ أَصحابِ الفيلِ، فقالَ تعالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ [سورة الفيل].